Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

اللغة والمنطق في فلسفة اللغة عند المسلمين أي علاقة؟

Title in English Language and logic in philosophy Language for Muslims Any relation ship

كريمة بلعز :karima belazze
جامعة د/مولاي طاهر سعيدة، مخبر الفلسفة وتاريخها
University of Dr. Moulay Taher Saida, the laboratory of philosophy and history
karimabelazze@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2019-08-06 تاريخ القبول : 2020-01-19

ملخص:

يهدف هذا البحث الى الاطلاع على جهود الفلاسفة المسلمين ومساهماتهم في مجال فلسفة اللغة التي تعد بمثابة المدخل الأساسي لتصحيح مسار الفكر الإسلامي عموما وقواعده المؤسسة له. والنظرة المتأنية والفاحصة لمسار هذا النوع من الدراسة يكشف لنا استناد الفلاسفة المسلمين الى قواعد المنطق لمعرفة ماهية اللغة وقواعدها وقضاياها، و كيفية نشأتها وتكوينها توضح لنا كيف أن هذه الفلسفة اللغوية سلّطت الضوء على قضايا المنطق من موضوعات ومحمولات وما فيها من ظواهر الى جانب استعمال ووصف أصواتها ودلالاتها وتراكيبها وأساليبها الفلسفية من عمليات التجريد والتعميم والتحليل، فكانت بحوثهم في هذا المجال مستفيضة ، جامعة بين البرهان والبيان .

كلمات مفتاحية: فلسفة، فلسفة اللغة، الدلالة ، المعنى، الرمز،الفارابي.

Abstract :

The primary goal of this research is to see the efforts and contributions of Muslim philosophers in the field of philosophy of language, which is considered as the main entry point to correct the course of Islamic thought in general and its founding rules for it. A careful and careful look at the course of this type of study reveals to us the dependence of Muslim philosophers on the rules of logic to know what language, its rules and issues are, and how it originated and its composition explains to us how this linguistic philosophy sheds light on logic issues of topics and loads and their phenomena in addition to using and describing their sounds And its indications, structures and philosophical methods of abstraction, generalization and analysis, so their research in this field was extensive, comprehensive between the evidence and the statement.

Keywords : Philosophy, Language Philosophy, Meaning, AbouNASER,El Farabi.

مقدمة:

منذ أن كانت اللغة، لغة شعر وبيان في تراث الجاهلية ، إلى أن أصبحت لغة تدار بها دولة الإسلام الفسيحة إلى أن التقت مع معارف وعلوم جديدة ، شهدت نوعا من الصراع بين المحافظة والتحديث، بين أن تختلط بحضارات وثقافات وعلوم وألفاظ أمم أخرى، وبين أن تبتعد عن ذلك كله وتنطوي على ذاتها خوفا على أصالتها وحفاظا على وقواعدها، هذا بالإضافة إلى النحو والبيان عند خصوم الفلسفة، لم يكونا مجرد قواعد اللغة، بل كانا يحددان أيضا المنهج التفكيري ويكسران منطقا معينا يرتبط بالأصول فقهية وتشريعية أكثر من ارتباطه بمبادئ وقواعد برهانية منطقية، ولذلك كان من الطبيعي أن يقوم النحاة بدورهم برد فعل مضاد، وان يكون للفلسفة هي الاخرى منطقا خاصا بها لهذا ظهر نحوا آخر منافسا للنحو في اللغة بوصفه منطقا لهذه الفلسفة وهذا ما حدث بالفعل كتلك المحاولة الجادة التي قام بها الكندي **ثم" محاولة الفارابي البارعة التي أدت الى تأسيس منطق برهاني** ("1")**وعليه يمكن طرح الاشكالية التالية :كيف درس الفلاسفة المسلمين الظاهرة اللغوية؟ ماهي جملة التجسيدات النحوية في البحوث المنطقية؟ والصور المنطقية في التراكيب النحوية؟**

اللغة والمنطق:

شهدت البحوث في مجال فلسفة اللغة عند المسلمين نوعا من الصراع الذي كان يتطور تدريجيا إلى أن بلغ أوجّه في مناظرة شهيرة بين أنصار اللغة (ويمثلهم ابو سعيد السيرافي (2) النحوي المشهور) وأنصار المنطق ويرأسهم (ابو بشر متى بن يونس) (3) والتي قدر فيها للنحو أن ينتصر على الفلسفة فانتصر البيان على البرهان. وما كان سائدا من قبل هو أنّ اللغة والمنطق لا تربطهما أي علاقة وفي ظل هذا الجدل يأخذ ابو نصر الفارابي على عاتقه مهمة شاقة هي محاولة تطويع اللغة لأن تتوافق مع كل الاتجاهات والعلوم الجديدة، مع ضرورة بناء تصور شامل للعلاقة بين البيان منهجا ورؤية، والبرهان منهجا ورؤية أيضا. اضافة الى هذا وضع اللغة في الإطار الفكري الشامل الذي يعتبرها علما فلسفيا له صلة وثيقة بسائر العلوم وقادرة على ان تساير المستويات المتعددة فاهتم بها مستلهما البحوث التي اشار اليها الكندي من قبل .إلى أن نجح في ذلك وجعل فلسفة اللغة ميدانا فسيحا يتناول علاقة الاسم بالمسمى او اللفظ بالشيء، او الحرف بمدلوله الحسي والعقلي، معلّلا او محللا كيفية نشأتها ونضجها. لكل كلمة في اللغة معنى أوهذا ما ينبغي أن يكون. وحين نشأت اللغة ربط الإنسان بين اللفظ ومعناه ولكن بما أن اللغة ليست ملكة ثابتة أو توقيفية فلم يعد المعنى ثابتا،فهي ظاهرة متطورة ومرنة و المتتبّع لمسارها التاريخي يلاحظ ذلك حتى أنّ اللفظ واحد له أكثر من معنى بل وتعدد الألفاظ يتبعه تعدد للمعاني والاستخدامات كما انّ مرنتها أحيانا تؤدي الى الغموض، وربما كان قول" فريجة"لا تسل عن معنى كلمة معنى ولا تطمع في إمكان إقامة معيار دقيق صارم يمكنك بمقتضاه أن تحدد معاني الكلمات أو الجمل وبما يبدوا أن فكرة المعنى مصادرة أساسية نسلم بإدراكها دون بحث، نسلم بأن كل إنسان يستخدم اللغة ويألف استخدامها استخداما معقولا قادرا على أن ينقل معنى ما نقول إلى الآخرين، وأن يفهم ما يقوله وما ينقل " هو أصول ما وصل إليه فلاسفة اللغة بثاقب نظرهم دون عناء. بعد أن فشل كثير من الفلاسفة والمناطقة المعاصرين أمثال جورج مور وكواين وغيرهما في الوصول إلى معيار دقيق يحدد شروط ما له معنى وما لا معنى له (4). والحقيقة أن البحث في مشكلة المعنى لم يشغل اهتمام فلاسفة ولغويي الإسلام أي كانت محل اهتمام فلاسفة ومناطقة العصر الحديث أيضا. ولذلك فقد اختلفت مناحي وأغراض دراسة فلاسفة الإسلام لها عن مناحي وأغراض المعاصرين فبينما هي عند المحدثين والمعاصرين مشكلة منطقية لغوية يحاولون من خلالها الوصول إلى معيار دقيق يحدد شروط ما له معنى وما لا معنى له من الكلمات، ومع صعوبة الوصول إلى هذا المعيار وتعدد النظريات المختلفة بل وإعلان البعض فشلهم في الوصول إلى ذلك المعيار (5). فإننا نجد أن فلاسفة المسلمين اهتموا بالبحث في هذا الموضوع ليثبتوا العلاقة الوثيقة بين النحو واللغة وأنّ الإحاطة باللغة ونحوها شرط أساسي لدراسة المنطق ، وأن النحو يبحث في اللفظ ومعناه كما أن المنطق يضع القوانين الضرورية لكل فكر صحيح وللمعاني الأولية الثابتة الموضوعة دائما في ثوب لفظي ، أرادوا أن يثبتوا أن النحو والمنطق يبحثان في اللفظ والمعنى معا و قال الفارابي في هذا السياق" إن النحو موضوعه اللفظ ، والمنطق موضوعه المعنى ،ولقد أخطا أبو البشر متى وهو الذي انعقدت له رئاسة المنطق في زمنه حين قال في مناظرته مع السيرافي النحوي " النحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطق إليه وبالنحو حاجة شديدة إلى المنطق لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ فإن مرّ المنطقي باللفظ فبالعرض وإن عثر النحوي على المعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ واللفظ أوضح من المعنى (6)" ،إذ استطاع السيرافي الذي لم يكن محيطا بالعربية ونحوها فقط بل بالمنطق والفلسفة ومنه الجدل أن يقحمه بحجة أساسية متعددة النواحي مفادها أنه من المحال أن ننطق الألفاظ دون دلالتها (7)على معان ومن المحال أيضا أن تكون لدينا معان عارية من الجهاز اللفظي بل من المحال أن ننطق أي جملة بالعربية دون أن ندرك معناها أولا (8) ويأتي الفارابي ليصحّح ما وقع فيه إمام المنطقيين من أخطاء مؤكدا تلك العلاقة بقوله" وأما موضوعات المنطق وهي التي تعطي القوانين فهي معقولات "المعاني من حيث تدل عليها الألفاظ ،والألفاظ من حيث هي دالة على المعقولات وذلك أن الرأي إنما يصححه عند أنفسنا بأن نفكر ونتروى ونقيم في أنفسنا أمورا ومعقولات شأنها أن تصحح ذلك الرأي(9). كما يقول في سياق بيان معاني النطق "النطق هو القول الخارج بالصوت وهو الذي به تكوّن عبارة اللسان عما في الضمير،وهو ايضا القول المركوز في النفس وهو المعقولات التي تدل عليها الألفاظ".

موقف ابن الجني من علاقة اللفظ المعنى:

تأثر ابن جنى بتلك المناظرة ليخصّص في كتابه "الخصائص" بابا أسماه في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني يقول فيه" وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى وبالأسجاع التي تلزمها وتتكلف استمرارها فان المعاني أقوى عندهم وأكرم عليهم وأفخم قدرا في نفوسهم، فأول ذلك عنايتهم بألفاظها فإنها لما كانت عنوان معانيها وطريقها إلى إظهار أغراضها ومراميها أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحييدها ،وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع فالألفاظ تخدم المعاني والمخدوم لا شك أشرف من الخادم (10)

وتجدر الاشارة الى ان فلسفة اللغة قد تناولها الكندي والفارابي من قبل كتلك الدراسات التي جاء بها ابن جني الذي ركّز على الاهتمام بالمعنى، إذ أنه لم يكن من السهل عليه وهو المنطقي أن يحاول إثبات التقارب بين المنطق واللغة دون ان يهتم بمعاني الألفاظ ودلالتها والشروط التي يجب توافرها حتى يكون للكلمات أو الجمل معنى ليس هذا فحسب بل كانت محاولته ضد التيار الذي أراد أن يثبت تعذر التوفيق بين منطق اليونان والنحو العربي في جو ساد فيه القول" بان من تمنطق فقد تزندق" أراد أن يثبت أن الفلسفة في نهاية الأمر عبقرية لغوية ويقين منطقي(11).وفي ذلك يقول "الفارابي «ونحن متى قصدنا تعريف دلالات هذه الألفاظ فإنما نقصد المعاني التي تدل عليها هذه الألفاظ عند أهل صناعة المنطق من قبل انه لا حاجة بنا إلى شيء من معاني هذه الألفاظ سوى ما يستعمله منها أصحاب هذه الصناعة (12) مدلولات ومعاني الألفاظ عند أهل المنطق من الدقة والوضوح والصدق فهو لا يعني بالمعنى في ذاته بقدر ما يعني بقواعد الارتباط الصوري بين هذا المعنى وغيره من المعاني التي تكون الألفاظ صورها المنطوقة، فالفارابي لم يهتم بأن يدل اللفظ على إنسان أو حجر أو كتاب بقدر ما يهمه معرفة جنس هذا اللفظ. أي إلى أي طائفة من الأقسام الكبرى ينسب هذا اللفظ سواء في المنطق أو في اللغة لان المنطق سوف يبعدنا عن التناقض والخطأ ولأنه سيوضح المعنى وفق قواعده بعيدا عن المعاني المختلفة والكثيرة والمترادفة والمشتقة والمنحوتة التي قد يحملها اللفظ الواحد إذا تناولناه في نطاق اللغة. يتناول الفارابي قضية المدلول اللغوي ومعاني الألفاظ مستخدما أسلوبه الفلسفي وقواعده المنطقية مؤكدا على أن الأمة إذا كانت سليمة الفطرة مائلة إلى الذكاء استطاعت بفطرتها أن توفق بين اللفظ ومدلوله. و بهذا نستطيع أن نجعل الألفاظ تنتظم بحسب انتظام المعاني وأقربها شبها بالمعاني، فلا يكون هناك ألفاظ مبهمة خاوية خالية من المعاني أو ليس لها مدلول يدل عليها يقول في ذلك "فان كانت أمة مائلة إلى الذكاء والعلم طلب أهلها بفطرتهم من غير أن يعتمدوا في تلك الألفاظ التي تجعل الدلالة على المعاني ومحاكاتها وأن يجعلوها أقرب شبها بالمعاني الموجودة، وبهذا تنهض أنفسهم بفطرتها لأن تتحرى في تلك الألفاظ أن تنتظم بحسب انتظام المعاني على أكثر ما تتأتى لها في الألفاظ **(13)**.

دلالة اللفظ والمعنى

يشير الفارابي إلى انه إذا كانت الألفاظ بعضها يدل على أجناس وأنواع وبالجملة الكليات وبعضها يدل على الأعيان والأشخاص فان المعاني تتفاضل وفقا لذلك في العموم والخصوص وهكذا تكون لهذه المعاني، ألفاظ متفاضلة أيضا في العموم والخصوص وللمعاني ألفاظ متباينة". فهناك إذا كما يؤكد الفارابي تطابق بين اللفظ ومعناه لا انفصال بينهما . وتتشابه المعاني مع الألفاظ في أنه إذا كانت هناك معاني تبقى واحدة بعينها وتتبدل عليها وتتعاقب اعراض، كذلك في الألفاظ حروف تكون ثابتة وتتبدل عليها حروف كأنها أعراض متبدلة. وهكذا يظهر ارتباط الألفاظ بالمعنى ويمكن أن تجعل اللفظة الواحدة الدالة على معان متباينة الذوات متى تشابهت بشيء ما غير ذلك وعلى أدائها وإن كان بعيدا عنها وهو ما يسمى بالألفاظ المشكّكة. وكما أن في الألفاظ ألفاظا مشتركة وهي التي تعم أشياء كثيرة من حيث هي ألفاظ وكذلك في المعاني معاني مشتركة تعم أشياء كثيرة المعاني وقد يوجد ألفاظ مشتركة من غير أن يدل كل واحد منها على معنى مشترك. وقد يكون في الألفاظ ألفاظ متباينة من حيث هي ألفاظا كما أن في المعاني معاني متباينة كذلك وهنا تسمى ألفاظ مترادفة. فاللفظ يسمى بناءا على ما يدل عليه المعنى ويوافقه في كل الأحوال."وهذا يدل على مدى تطابق الألفاظ مع المعاني

وينطبق هذا الكلام على تركيب الألفاظ الشبيهة بتركيب المعاني المركبة التي تدل عليها تلك الألفاظ المركبة"(14)

فإذا ما استقرت الألفاظ على المعاني التي جعلت علامات لها فصار واحد لواحد. وواحد لكثير وكثير لواحد، أمكن للناس أن يعبروا بألفاظ قد لا تؤدي الى المعنى المطلوب. أي يعبرون بالمعنى على غير اسمه الذي جعل له أولا، بل يجعلونه يدل على شيء آخر كان له به تعلّق ولو كان يسيرا فتحدث الاستعارات والمجازات والتجرد بلفظ معنى ما عن التصريح بلفظ المعنى الذي يتلوه، متى كان الثاني يفهم من الأول ثم يتوسّعون في العبارة بتكثير الألفاظ وتبديل بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها فتظهر الصنائع اللغويّة المتعدّدة، من صناعة الخطابة، والشعر، وعلوم اللسان وغيرها... ، ثم الصنائع القياسية من الجدل والسفسطة والفلسفة النظرية والعامية...الخ(15). وإذا أردنا أن نعطي نموذجا توضيحيا لقضية العلاقة بين اللفظ ومدلوله أو المضمون الدلالي والابستيمولوجي للفظ لوجدنا ذلك جليّا واضحا في كتاب الفارابي " الواحد والوحدة" في هذا الكتاب يعرض الفارابي بطريقة استدلالية إحصاء وتصنيف وبسط لأنواع الواحد بسطا تقريريا لا جدليا. فهو يمضي في تفريع دقيق للدلالات المختلفة للفظ الواحد و يتّجه إلى الواقع لاستقراء ضروب الوحدة والتعدد والتقابل والحدوث فيه وكذا أصناف التعبير عنه وذلك من خلال منهجية تقريرية لا يخضع فيها لنظام سابق عليه بل انه اختلف فيه عن عرض أفلاطون في محاورة بارمنيدس وعرض أرسطو في مقالتي الدال والباء في كتاب ما بعد الطبيعة. انه يحرص على تمييز الدلالات المختلفة للواحد والكثيرة، وعلى تقاطع هذه الدلالات سواء تعلق الأمر بدلالة كل لفظ على حدا ،أو دلالاتهما المشتركة كما يغلب عليه الاهتمام تقابل أنواع الواحد لأنواع الكثرة وجهات حدوث الأخيرة(16) في تفصيلات دقيقة تدل على عمق تحليله الابستمولوجي، ثم بحث في نوعية الدلالة التي ينظر من خلالها إلى معاني الواحد أو أصنافه والتي تنظم العلاقة فيما بينها ونستطيع أن نستخلص قوله بنوعيه الدلالة التي تنظم أنحاء الواحد دون أن يصرح بذلك، فهي أحيانا دلالة الاشتراك في الاسم وذلك يبدوا من وضعه الواحد بالعدد علة لمعظم أنحاء العدد(فهو علة الواحد بالمحمول، والواحد المتصل، والواحد بالجملة والواحد بالانحياز...الخ) والقول بهذه العلية أو الأولية هي بالضبط ما يميّز الدلالة المقولة بتشكيك، وذلك بخلاف الدلالة المقولة باشتراك الاسم التي قد تقتضي المقابلة والتضاد بدل علاقة النسبة والعليّة والتقدم والتأخر(17). وقد اعطى الفارابي للواحد المنحاز بالماهية أهمية خاصة باعتباره علة للوحدة في مجموعة من أنحاء الواحد،فإذا علمنا أن "المنحاز بالماهية" يعود بأصله إلى عالم الوجود، أي بين الواحد بالعدد والواحد المنحاز بالماهية وجعلهما ينفردان من بين أنواع الواحد بأن الوحدة لهما ذاتية، فيكون الواحد بالعدد علة لأنحاء الوحدة والكثرة التي لها نسبة إلى العدد، والفصل أو الماهية علة لأنحاء الوحدة بالمعنى الانطولوجي . ولذلك يكون الفارابي قد قال بدلالتين للوحدة وهما الواحد بالعدد، والواحد المنحاز بالماهية، لا بدلالة واحدة(18).

ولا شك أن هذا الوضع المزدوج للوحدة سينعكس على طبيعتها وعلاقتها بالأشياء، فمن حيث طبيعتها فقد أعلن الفارابي أن كل أنواع الواحد أو الوحدة هي عدم الانقسام، إذ يقول "ويعم جميع ما يقال فيه أنّه واحد أنه غير منقسم من الجهة التي يقال له منها أنه واحد فان التي هي واحدة بأعيانها فإنها لا نتقسم من جهة جنسها ونوعها أو غير ذلك ، والمتصل غير منقسم في النهايات، والمتماسكة غير منقسمة في أمكنة نهاياتها...والذي هو منحاز بوجود يخصّه كذلك فان الذي يخصه غير منقسم عليه وعلى غيره(19). وبهذا يكون الفارابي قد تناول مفهوم الدلالة من خلال دراسة الألفاظ، فلا وجودَ لألفاظٍ فارغةِ الدلالة في عِلمَيِ المنطق والفلسفة، إنما الألفاظُ ودلالاتها وجهانِ لعملة واحدة، وقد قسّم الفارابي الألفاظَ الدالة إلى ثلاثة أقسام: الاسم والفعل والأداة - أي: الحرف - وإذا كانت دلالةُ الاسم والفعل واضحة، فإن دلالةَ الأداة قد يكتنفها غموض، وتناول الفارابي في كتابه: (الحروف) هذه المسألة باهتمام بالغ ففي مقام حصره لاستخدامات الحرف (ما) يقول: يستعمل (ما) في السؤال عن شيء مفرد، فالحروف ليست لها دلالة في ذاتها، إنما قيمتها الدلالية فيما تُشِير إليه، واللفظ لا يدلُّ على ذاته، إنما يدلُّ على المحتوى الفكري الذي في الذِّهن، وفي ذات الإطار يشرح الفارابي استعمالات لفظ (موجود) فيقول: "الموجود لفظ مشترك يقال على جميع المقولات، والأفضل أن يقال: إنَّه اسمٌ لجنس من الأجناس العالية، على أنه ليست له دلالة على ذاته"(20).

انواع الدلالة عند ابن سينا:

أما" ابن سينا "فيحدد ماهية اللفظ المفرد بالنظر إلى دلالته، فما كانت دلالته واحدةً لا تتجزأ فهو اللفظ المفرد، بحيث إذا تجزأت دلالتُه لم تُفصِح عنه، وتحولت إلى دال غيره، وتجسّد هذا في قوله: "اللفظ الدال المفرد هو اللفظُ الذي لا يريد الدالُ به على معناه أن يدلَّ بجزء منه ألبتةَ على شيء"(21). وتأثر ابن سينا هو الآخر بالفارابي والكندي في مسألة علاقة اللغو بالمنطق فنجده تناول تعيينَ العلاقة بين اللفظ والمعنى من جوانب ثلاثة:

دلالة **المطابقة، والتضمن، والالتزام**، فإذا كان الانتقال بواسطة العقل من الدال إلى مدلوله، لعلمه بعلاقة الوَضْع، فكلما تحقق مسموع إسم ارتسم في الخيال مدلوله، فالدلالة عندئذٍ دلالة وضعية، تمنع من وقوع الالتباس بين الدلالات الثلاث، لأنه قد يطلق اللفظ ولا يعني به مدلوله المطابق له، كما أنّنا إذا أطلقنا لفظ: (الشمس) وعَنَيْنا به (الجِرم) كانت الدلالة بينهما مطابقة، وإذا عنينا به (الضوء) كانت العلاقة بينهما تضمُّنًا)، وتدخُّل الوضع وتوسُّط العرف الأصلي يمنع انتقاض الدلالات بعضها ببعض ويورِد ابن سينا أمثلة يوضح فيها أقسام الدلالة الثلاثة؛ فدلالة المطابقة هي التطابقُ الحاصل بين اللفظ وما يدل عليه، كالإنسان؛ فإنه يدل على الحيوان الناطق، أما دلالة التضمن، فهي ما يتضمنه اللفظ من معانٍ جزئية تدخُل في ماهيته.

أما دلالةُ الالتزام، فهي تحتاج إلى أمر خارجي لعقدِ الصلة بين الدال و ما يلزمه ، ويقول "ابن سينا" معرفًا ذلك: "أصناف دلالة اللفظ على المعنى ثلاثة: دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام"(22) ، وهي دلالاتٌ تجمع الأنساق كلَّها. وبهذا فان الفلاسفة المسلمون في تناولهم لطبيعة الدلالة اتفقوا في فكرة واحدة وهي اخضاعها لتقسيمات تكاد تتشابه لانهم تأثروا بالمنطق الارسطي. وليس ببعيد عن نفس المجال نجد أن" الغزالي" يقسم الألفاظ من حيث إفرادها وتركيبها إلى ثلاثة أقسام: ألفاظ مفرَدة، ومركَّبة ناقصة، ومركبة تامة؛ فالمفرد عنده لا يخرُجُ عن تصور مَن سبقه من العلماء، كالفارابي وابن سينا، في قوله: "المفرد وهو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة على شيء أصلاً حين هو جزؤه؛ كقولك: موسى وإنسان، فإن جزأَيْ موسى وهما (مو وسا) وجزأَيْ إنسان وهما (إن وسان)، ما يراد بشيء منهما الدلالة على شيء أصلاً"(23).(

أما المركب، فهو الذي يدل كل جزء فيه على معنى، والمجموع يدل دلالة تامة، بحيث يصح السكوتُ عليه، من ذلك قولهم: عمر يمشي ووضّح "الغزالي" علاقاتِ الألفاظ بالمعاني، ولم يخرج عن تلك المحددة قبلاً، وهي علاقة المطابقة، وعلاقة التضمن، وعلاقة الالتزام أو الاستتباع (24) ، ومفهوم الدلالة عنده يقترب أكثرَ من موضوع هذا البحث، لاعتبار ثقافته الأصولية، فالأحكام التي استنبطها من القرآن الكريم - بخاصة - استند فيها إلى أسس نظرية، نجدها بشكل واضح في كتابه: (المستصفى من علم الأصول)، وتعُود هذه الأسّس أصلاً إلى فهمٍ عميق للدلالة.

الظاهرة اللغوية عند الجرجاني:

إنّ المتتبّع لبحوث الجُرجاني فإنه يلاحظ تناوله لمجال الظاهرة اللغوية من زاوية فلسفية فنجده في ميدان علم الدلالة، قد أشار الى أنها تتميَّزُ بعُمق التحليل، وحُسن التصنيف لأقسام الدلالة، وهذا يدل على نُضج معرفي أحرَزه الأصوليُّون المتأخِّرون، كما أنّ ابن خلدون وضع لمساته في مجال فلسفة اللغة التي نجدها الى حد ما تكاد تكون مخالفة عن سابقيه لأنه أضاف بعض التغييرات عندما قال "واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام، كما أن القول والكلام بيانٌ عما في النفس والضمير من المعاني، فلا بد لكل منهما أن يكونَ واضح الدلالة"(25) ؛ فهو يوضِّحُ العلاقة القائمة بين المعاني المحفوظة في النفس، والكتابة والألفاظ ونخلص من ذلك إلى أن البحثَ في دلالات الكلام، وما تُرشِد إليه هذه الدلالات من أحكام هو أمرٌ قديم يرتبط تاريخُه بتاريخ اللغات ذاتِها، وفي اللغة العربية كان البحث في هذا الفن قديمًا وزاد الاهتمام به مع تطور علوم الشريعة وتأصيلها، ونضج القول مع كثرة التصنيفات وتطور المعرفة.

الخاتمة

كانت فلسفة اللغة عند الفلاسفة المسلمين بمثابة المدخل الأساسي لتصحيح مسار الفكر الإسلامي. والنظرة المتأنية والفاحصة لمسار هذا النوع من الدراسة لمعرفة ماهية اللغة وقواعدها وقضاياها، و كيفية نشأتها وتكوينها توضح لنا كيف أن هذه الفلسفة اللغوية سلّطت الضوء على اللغة وما فيها من ظواهر الى جانب استعمالاتها ووصف أصواتها ودلالاتها وتراكيبها وأساليبها الفلسفية من عمليات التجريد والتعميم والتحليل، فكانت بحوثهم في هذا المجال مستفيضة .لانهم وقفوا على الجانب التاريخي عندما تتبعوا تطور بعض المصطلحات في اللغات المختلفة، هذا بالاضافة الى تتبعهم لتطور اللغة الفصحى نفسها وكيفية نشأتها و وقفوا في معظم شروحهم على تعليل بعض الظواهر اللغوية كظاهرة الاشتقاق والترادف. ومن هنا نستطيع القول بان فلسفة اللغة عند المسلمين قد جمعت مناهج مختلفة وطرق متعددة في البحث أي ألمّت بين الطريقة الوصفية التي تعتمد على السكون والاستاتيكية، والطريقة التاريخية التي تعتمد على الحركة والفاعلية، فقد درسوا اللغة من خلال تغيراتها المختلفة وهو ما حدا بهم إلى اعتبارها مواضعة واصطلاح وليست وحي والهام، أي اعتباط ومواضعة وليس توقيف ومحاكاة وهي بهذا المعنى ظاهرة متغيّرة ومتعدّدة ومختلفة باختلاف الأزمنة والشعوب وحضاراتها. وأهم النتائج المتوصل اليها وهي انّ فلاسفة اللغة المسلمين لم ينظروا الى اللغة كأداة للتوصيل أو التعبير فحسب، بل على أساس أن لها وظيفة اجتماعية و أن الكلام ليس إلا نشاطا إنسانيا يختلف من مجتمع إلى آخر، فهي ميراث تاريخي ونتاج الاستعمال الاجتماعي زمنا طويلا وحتى اننا نلمس عندهم الروح النقدية والمقارنة في عرضهم لقضايا اللغة العربية وظواهرها بل عمدوا إلى مقارنتها باليونانية والسريانية و تتبعوا المصطلحات العلمية واللغوية شارحين لمعانيها المختلفة في سائر اللغات وبهذا يعود لهم الفضل الى تأسيس بحوث غزيرة في مجال فلسفة اللغة وفقه اللغة وما شابهها من دراسات كان يعتقد الغرب أنهم مبتكريها.

الهوامش والاحالات:

-1 -زينب العفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ،دط 1998 ص16

-2 -السيرافي (284هـ - 368هـ): أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي: ولد في سيراف وبها ابتدأ بطلب العلم، وخرج منها قبل العشرين ومضى إلى عُمان وتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها عند أبي محمد ابن عمر المتكلم، وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه، ودخل بغداد، وخلف القاضي أبا محمد ابن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين. وكان من أعلم الناس بنحو البصريين. قرأ القرآن الكريم على أبي بكر ابن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على أبي بكر ابن السراج النحوي،

-3 -أبو بشر، متى بن يونس القنائي، مترجم وفيلسوف نسطوري نصراني عاش في بغداد في

زمن الخليفة الراضي بالله، وهو من أهل دير قنا الذي يبعد 94 كيلًا عن بغداد. تلقّى علومه في مدرسة «قار ماري» على أيدي أساتذة عدة منهم الراهبان: روبيل وبنيامين، وقرأ المنطق على يد أبي إسحاق إبراهيم القويري المنطقي. انتهت إليه رئاسة المنطق في عصره، وتخرج على يديه يحيى بن عدي الفيلسوف المنطقي التكريتي -نزيل بغداد- الذي أخذ مكانه في رئاسة المنطق بعد وفاته، كذلك درس المنطق على يديه أبو نصر محمد الفارابي.

-4 -د.محمود زيدان فلسفة اللغة ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية مصر،ط1، 2003ص136.

-5 -د.محمودزيدان ،المرجع نفسه،ص 135

-6 -التوحيدي:الامتاع والمؤانسة،تقديم أحمد الطويل،دار السلامة للطباعة والنشر،تونس ذط ذ ت ص113.

-7 -المصدر نفسه ص119

-8-الفارابي،إحصاء العلوم،تحقيق،عثمان أمين دار الفكر العربي ط2،1949 ، ص59.8-

-9 -ابن جنى الخصائص:تحقيق محمد على النجار،ج1،دار الكتاب المصرية دط 1952،ص215-220.

-10 -علي سامي النشار:نظرية جديدة في المنحى الشخصي لحياة الفارابي وفكره،دار المعارف، مصر،دط،دت،ص426.

-11الفارابي:الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق بيروت دط ،دت ص41-42.

- 12- الفارابي، الحروف ، تحقيق محسن مهدي دار المشرق بيروت ،ط1986،2ص139,12-

-13-المصدر، نفسه ص ص140-141

-14- الفارابي المصدر السابق،ص14114-

-15-محمد المصباحي:تحولات في تاريخ الوجود والعقل،دار الغرب لإسلامي،بيروت،ط1995،1،ص248

-16- المرجع،نفسه،ص142-16

-17-الفارابي:الحروف ،المصدر السابق115-116-17

- 18- المصدر نفسه ،،ص102-18

-19-الفارابي احصاء العلوم المصدر السابق ص159-19

-20-ابن سينا منطق المشرقيين، دار الحداثة،بيروت،ط1982،1.ص37 -20

-21-المصدر نفسه ص4921

-22-الغزلي ابو حامد معيار العلم، دار الاندلس،ط1983،4ص5022

-23- المصدر نفسه الصفحة نفسها -23

-24-ابن خلدون مقدمة تحقيق عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة،القاهرة،ط3،دت ص2/509/.

-25-الجرجاني، عبد القاهر،أسرار البلاغة تعليق،محمود محمّد شاكر، دار المدني جدّة دط،1991،ص115.

قائمة المصادر والمراجع:

-أبو حامد الغزالي، العلم في المنطق، دار الاندلس،ط 4-1983

- ابن جنى، الخصائص: تحقيق محمد على النجار،ج1،دار الكتاب المصرية دط 1952.

- ابن سينا ،منطق المشرقيين، دار الحداثة،بيروت،ط1-،1982.

-ابن خلدون محمد بن عبد الرحمان، مقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي ،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة ط3،دت.

- الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق ،عثمان أمين دار الفكر العربي ط2-1949.

-الفارابي،أبونصر، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق بيروت دط دت

-الفارابي،ابونصر، الحروف ، تحقيق محسن مهدي دار المشرق بيروت ،ط2-،1986.

-التوحيدي ابو حيان، الإمتاع والمؤانسة، تقديم أحمد الطويل دار السلامة للطباعة والنشر تونس، دط، دت.

-زينب العفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ،دط 1998.

-محمد المصباحي: تحولات في تاريخ الوجود والعقل،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1-1995 .

-محمود زيدان فلسفة اللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية مصر،ط1، 2003

- منقور عبد الجليل، علم الدلالة، اتحاد كتاب العرب،دمشق،دط،2001.

-علي سامي النشار: نظرية جديدة في المنحى الشخصي لحياة الفارابي وفكره، دار المعارف، مصر،دط،دت.